أنسي الحاج

ماضي الأيام الآتية

دار الجديد

انسي الحاج

ماضي الأيام الآتية



العاصفة

حين جُننتُ وقرَّرتُ أنْ أضحَك

وَحَمَلْتُ على ظهور النساء سريراً

حتّى أصبحوا جميعاً يعرفون ما بي

وكانوا ينظرون إلى المَلِك فصاروا إلى الجسَد،

تلك القصَّة

لو عاد زمانَنا أيّتها الطالعة من الروايات لجعلتُها أثْمَنَ في الموت.

كما ترين كُلُّ كلمة

أصدروا كُلَّ كلمة

ويُخَيَّلُ إليَّ، وقد جَمعْتُ المُتناقضات، أنّي لم أعد أصلح حتّى كاذباً

(أو مُبالغاً)

وقد كُنتُ أتوقَّع وأتوقَّع إلّا هذا: أنْ أقع كسمكة القرش أنيقاً

ناعساً كالحنكليس

مفتوحَ البَصَر

وبأُعجوبة

أُطوّق التجمّعات

الكوارثَ

والأُمور

والناحيةَ الأُخرى.

أيَّةُ أشياء وراء الجبال

أيَّةُ ذكريات لكنَّ في البلاد الحارّة؟

أيَّةُ منازعات ومُضاجعات على سواحل أوروبا المُشمسة

أيَّةُ التفاتات تُهرّبكنّ من شهواتنا؟

أيَّ بديل كنتُ

مأخوذاً أيّتها الملسوعة بمجاعتي

سجينة وهجي

مُلَبّية شتائمي

وعَودتي عنها!

أيَّ لسانٍ كُنتُ لشهوات يائسة موَّهَتها أمواج طَفَرَتْ وراء ماضيك الحبيب وحَجَبَتْهُ

وجَفْصَنَتْكِ

وشدّتني إليه لآخذكِ عليه فأصير فِراشه كما أصير موجه

وكوحش يرعى تحت الحَلْق

أتَدمَّرُ

وفيكِ أُدمّر كُلَّ امرأة!

لم يَقُمْ حُبّ إلّا حُبّي

إلّا حبّي

لم يقم حُبّ إلّا حبّي

إلّا حُبّي

لم يقم حُبّ إلّا حُبّي

بالعودة إلى النار والسير مع الأسد.

كما غنّى لم يُغنّ أحد

وكما تمزَّق كأسنان تصنع البَرْق

أسرع أسرع فأسرع

وكما تجهَّم وانجذب انجذاب الفأر

وكما طاف بالأوجاع الشخصيَّة

الأوجاع الأوجاع الشخصيَّة

أُكرّر

أُكرّر

حتّى تُصبح قاعدة للاحترام: الأوجاع الأوجاع الشخصيَّة

وكما تجمَّع على بعضه كتاباً مبلولاً

وانفتح عطشاً وكالورق اليابس

وانفتح وانغلق

وكما اتَّضَع وتوسَّل وتبذَّل في الألفاظ

وارتاح في الهَلَع

وتَمدّد في السكوت

وكما طاف بالأوجاع الشخصيَّة

الأوجاع الشخصيَّة لا أحد يعرف كيف

وكما انقلب إلى آخر

لا يُوصَف لكنَّه سيعود

ورَبَّما سواي

رُبَّما سواي المرَّةَ المُقبلة...

لم يَقُم إلّا كُرْهي.

ما ذكرتُه لا يُلغى

ما ذكرتُه لم يَمُت

لكنَّه لم يُمتني

(لا تدَعوه يقتلكم!)

لذلك الكُرْه

الكُرْه وهو الضَّحِك.

ورائيَ الضاحكون الذين كانوا أعدائي

انضممتُ إليهم

(إنضمّوا إلى أعدائكم!)

صرتُ أكثر فَشَلاً

أكثر إيذاء

لأنّني حين وجَدتُكِ تحت ثياب لم ألمس أخطر منها

وجدتُ فيكِ كلّ شيء

وحين وضعتُ يدي عليكِ

آكُلكِ لقمةً لقمة وتأكلينني لقمةً لقمة

وجدتُ كم جوعي سيكون

ومتاهتي

وكم أنتهي

وكم لا حُدودي وكيف كالسيف

وكيف

أيّتها الأُنثى الطائرة يُمدّدُك الجنس على أعشابي

تُعانقين فقط أعشابي.

وكُنتُ قد أحسستُ أنّك مُختلفة

بدأتُ أجهّز فنون العزم والدهشة بعدما مزجتُ عشقي بمياه ونيران من السماء

قريبةٍ من السماء

وبدأتُ أعثر على جسمكِ في النساء وعلى النساء فيكِ

وبدأتُ وأنا مضطجع عليكِ أفقدُ عادة الفراغ

وبدأتُ وأنا أنتظركِ أكتشف أنْ يكون للمرأة فم

أنْ تكون يد

أنْ تكون امرأة أنْ تكون

حَرَكةُ الطيرِ حَركةُ الفهدِ حَرَكةُ الأفعى.

ولمّا صرتُ في لذّتي

وصار جَسَدي

ملأتُ المُربَّعات

فخرجتِ تصيحين كقدّيسة وتصمتين كعاهرة.

أختارُكِ

بين جميع أنواع فشلي أختاركِ

الفشل

الذي صاغني صيغة البطاقة وقدَّم عقلي كريشة

وسَحَقَه كحنطة

وجوَّفه ككهف

وجرّأه جرأة الإعدام

ورنَّ فيه رنَّة الولادة رنَّة الموت رنَّة الولادة

أختارُكِ امرأة طموحي وامرأة انهياري

وصوتُك يُردّد: أُحبّكَ

وصوتُكِ لا يزال يُردّد: أُحبّكَ.

وصلتُ إلى البكاء ولم أبكِ

لكنْ ثأرتُ عندما وصلتُ إلى الثأر

وطَبَعْتُ عليكِ وأنا أفتكُ بكِ رَجُلاً

وعَظَمَة وجودك القاتلة!

في حُروفي تلمع شفرة كأنّها تلمع في رقبة شعب ودمُه لا يُلطّخها

يلمع البَطَرُ والدمار

تلمع جُثث امرأة

وهذا يقتلك،

وأنّني شاعر لي

وأنّكِ مُقطَّبة بعروقي

وأنّني كُلّما خسرتُ ربحت

ودائماً يداي تَقْطعان

ومن جُثّتي مهما كان الزمان تفوح الجنَّة وينساب حنان الجحيم

وتصعد لذائذ الوحوش الوحشيَّة

وترتفع ضحكة غير ضحكة العبد الساكن جَسَدَكِ

السّاكنِ

السّاكن جَسَدَكِ

وتكرهِينني

(هل تكرهينني؟)

لأنَّ ما يقتلكِ

ويقتلني

يقتلكِ بعدما مُتُّ

بعدما عفّرتُ عميقاً

يقتلكِ

وصفاؤكِ يرميكِ بين مخالبه كاللعبة!

أُريد أنْ أتوقَّف عن الرثاء وكالأُمّ

أركع

فاتحاً خزائني مالكاً

مَلِكاً

باسطاً

مُشْعِلاً بشِعريَ روحَ الأرض

قاطعاً

رابحاً

رائجاً فالتاً جميلاً وحيداً مُتدخّلاً في كُلّ شيء رافضاً

قابلاً

ملعوناً لا يبقى حجر إلّا يطير لصوتي.

قُلتُ لهم سأكتبُ يوماً عنكِ هذه القصيدة

قُلتُ لهم حين جُننتُ وحين قرَّرتُ أنْ أضحك.

لا قصيدتي تصحّ ولا جسدكِ.

هذه فتاة صغيرة تَشرد عن قطيع

أُغطّي ضباب وَحْيك بجسدها

كما قليلاً وأخترقُ وَحْيها الصغير.

وأظلُّ أُلقي على الضباب جَسَداً فوق جَسَد

فوق جَسَدكِ

فوق جَسَدكِ

فوق جَسَدكِ الذي لا يتجسَّد.

زوس

داناي

عندما وجدتُ لكِ هذا الإسم لم أكن

أعرف أنّني زوس

الذي هَبَط عليكِ في السجن

مَطَراً من الذهَب

وأنجبَ منك ذَكراً

قتل جَدّه حسب النُّبوءة وصار

بطلاً شعبيّاً من اليونان

حتّى آسيا الصغرى.

فجأةً أخْبَرْتِني

واستغربت كيف صادف الاسم

وآلمني استغرابكِ فليس غير زوس خليقاً بكِ

إله البَرْق والرياح والغيوم

سيّد العالم الأسفل والأوسط والأعلى

المُخَلّص المُنتقم

المُتعدّد أُسلوب الإغراء والزيارة

المرموز بالصاعقة بالنسر بالأفعى بالسنديان.

غيره لا يقدر أنْ يزور ويُغري داناي

(لا أُريد أنْ يَقْدِرَ غيرُه)

غيره لا طريق له إلى داناي

الإلهة العشيقة الحوريّة الزائلة

التي حَمَلها الموج إليَّ عذراء

فأنجبتُ كلَّ ما أنجبتُ منها

وألقيتُها

على الموج إلى المُستقبل عذراء.

ناموا مع داناي

يحمل رسالة تقول

أبو نوّاس هنا

أبو تمّام

إبن الروميّ

الشّريف الرضيّ

الحلّاج على حصان الحجّاج.

وآخر يقول

عواصف على طواحين الشرق

وغصون تتأمَّل أوروبا.

وآخر:

الشيطان يَكْشف للملعونين

عَدَمَ الشيطان!

وآخر

يُعيد الفعل الماضي إلى فوق

بين الأروقة.

وآخر:

الحُبّ لا يتعمّد أنْ يكون الحُبّ.

وآخر:

أكثر ما كان يُؤلم شارلي شابلن

أنّه لم يقدر على الصمت

أكثر ما كان يُؤلم هنري ميشو

أنّه لم يقدر على الصراخ

أكثر ما كان يُؤلم برتولد برخت

أنّه ذروة ما يرفض

أكثر ما كان يُؤلم جبران اللّازورد

أكثر ما كان يُؤلم دافنشي أنّه ارتوى

أكثر ما كان يُؤلم فيروز أنّها تحلم أنْ تخرج

أكثر ما كان يُؤلم بروتون أنّه لم يَقْدِر أنّه لم ييأس

أكثر ما كان يُؤلم جورج شحاده هو العَسل

أكثر ما كان يُؤلم محمّد الرموز

أكثر ما كان يُؤلم فرعون أنّه لم يقدر أنْ يكون النيل

أكثر ما كان يُؤلم النيل أنّه لا يقدر أنْ يصيح ولا أن يسكت ولا أنْ يكون فرعون ولا نفرتيتي

أكثر ما كان كان يُؤلم

أكثر ما كان يُؤلم لم يكن

أكثر ما كان يُؤلم داناي هو الرفوف

والسنونو

وأزرار عاشقها المُبَكَّلة.

وآخر جاء قائلاً:

الإشراق لا يظهر إلّا بالنثر.

فان غوغ لم يعرف ولا شكسبير

أنّ رمبو سَرَق البريد!

وآخر

أنّ حَمَلَ الله مدعوّ إلى بلدنا

وجميع الأُمم والدساكر

حتّى يزداد وضوحه غُموضاً

وغُموضه وضوحاً.

وآخر

تارةً ينحني أو صَنَم

تارةً يُحلّ أو يُلزّق

تارةً يُهدي أو يتسوّل

تارةً يأخذ أو يبكي

تارةً تائه أو دقيق

تارةً يُتابع سيره أو يُطوّل أظافره في السرير

لم يَقُلْ عن أحد

وقيل موجة جديدة.

وآخر

نَظْرَة فوقها دُخان وعليها

الماضي بالزّور

جاء يُساعد المُرشَّحين للموت

وعندما يُرى في مُهمّته يبدو ثقيلاً

وهو

ثقيل.

وآخر

هو الذي كان يَرضع القصص المثيرة

لا يعرف السبب وكيف

لو عملَ جاسوساً لخان الجميع.

إذهبي يا داناي

(داناي امرأة

كان لها دور في كُلّ من عاش

في كُلّ من عاش في قلب الذي جاء

واحداً بعد آخر)

إذهبي ما أجملكِ!

كُلُّ الذين وَرَدَ ذكرهم في هذا الخبر

أُصيبوا برئتكِ

واختنقوا بفضائك المفتوح.

الزمانُ سيَغمرُ

الرياح ستهبّ

والذين كانوا

والذين وردوا في الخَبَر

ناموا مع داناي

دون ذكر اليوم والشهر والسنة.

محور الزئبق

أنا من جنس المحور

الحاوي القنافذَ والعقارب

القُبّراتِ الجزيلةَ الصحو

أحصنةَ إبليس الراهبات

النسرَ ونخاعَ الصعتر

وجداولَ السرطانِ والهدهد.

أنا من طَبقَة المحور

المُؤلّف من الإنكار

من قُربان التخطّي

من روح قُدُس المُخالفة

وأجْوَدِ فَعَلَةِ الوجهِ والقفا.

أنا من حُرّيّة المحور

كُلُّ واحد منّي جزيرة

وصحراء وإخوة وأشرار

كُلُّ واحدٍ منّيَ صين

ومصر ويونان

كلُّ واحد منّيَ واحد

في عُمق الماء واستراحة الجنون

كُلٌّ واحدٍ منّي له

ضوضاء الملائكة ورؤوس الشياطين

حُلول إرهابيّ وعصيان أبديّ

كُلَّما دارتِ الأشياء دورة

كانوا فيها وراءها وأمامها

كُلَّما شُوهدوا في مكان

شُوهدوا في مكان آخر.

أضع ذقني على الدّبْق

قُلتُ: شُعاع! حَمَلَني وجاوب: ماذا تشتهي؟

وأسرع صبيّ من الصوف يجرّ غيمَ الخُرافات فدعاني ذلك للقول.

ولم يُميّزني! فمحوتُ القول قائلاً: لا يكفيني.

لحُسن الحظّ عندي مَنْ يُفكّر ومَنْ لا يُفكّر.

أضَعُ ذهني على الدّبق أُمازح الزبائن والصيّادين. مثلاً: كُلُّ القصّة تشفيها رحلة!

الضّبّاط والمُراقبون غيرُ سيّئين لكنْ أقلُّ جمالاً. هذه فُروق جوهريّة. لن يذهب أحد بعيداً في النظام ولا بعيداً في الثورة. الصواب هو أنا.

ولماذا التّعَب؟ كُلّما قُلتُ كلمة حَمَلَني شُعاع!

زيح الشّغف الأزرق

أصبح ارتحالي من فصل إلى فصل

حُجّةً لتدبير الغذاء بقصد ارتحال آخر

وكما تتّجه الطيورُ بحكمة

رُحتُ أدبّ من مُحيط إلى مُحيط

من القمم إلى الأغصان

من ليل إلى ليل إلى ليل

حتّى ضُربتُ

بصيتِ الجنون العذْب.

بعدما رأينا كيف حكمةُ الطيور

أُذكّركم أنَّ من طبائع الكائنات

أنْ تضرّ نفسها.

كنتُ سُلَحْفاة على الحجار

محفورة على الجذوع والمساند

محفورة على الخواتم

محفورة على كواحل الجبال.

ورأيتُ الفضاء

فرأيتُ الفضاء

ولمّا رأيته جميلاً أحببتُ يمامة حَمَلَتْني.

وحين أُعجبتْ برائحة الأرض عليّ

حطّتني في التراب

ورفعتُ عن اليمامة نفسي

فوَقَفَتْ في الفضاء

كالرُّمح.

لا عطر، بالفعل، بعد داناي

بين جناحيها وضعتُ الكنز

وأرْخَتْ علة رُكبتيَّ العِلْمَ والجهل

وفي فمي خبّأتْ ملفّ الحُبّ

وعَرَفنا الأشياءَ التي لا تُسمّى.

كالرُّمح تجمّدتْ وعاشتْ كالبَرْق

وأنا كدرويش تهوّرتُ على التراب

وعلى خيمتي بصّار وبهلوان وجوّال

وأوتاري تطنّ كنحلة تعصف بزُجاجة.

ذكّرْتكم من طبائع الكائنات

أنْ تضرّ نفسها

وأنَّ الكائنات بينها وبين بعضها

يمامة وسُلَحْفاة

كما بين يمامة وسُلَحْفاة

قُبْلة التّوحّد الهارب

شفرة المُستحيل الكريمة

وزيح الشَّغَف الأزرق.

ليُصبح ارتحالي من فصل إلى فصل

رجاءً لكم جميعاً

فأنا أصْدَقُ شهادة

في هذه المسألة المُغْلَقَة كالصمغ

الأُميّة كالسَّبْع

التي لها اسم بسيط بين الأسماء:

الخرافة.

الكأس

لن أتوقَّف

لن أتوقَّف

تحت القَمَر بالثوب الأبيض

غَرَقاً

في اليوم التالي

بين ضَرَبات الصدر.

أنتِ

في قُبَّة الضباب

وآبار الكنائس المستطيلة

في الأعياد

وشعشعة الواجهات

وحُقول الإيقاعات الشعبيّة

ونَحل الضجيج اليائس

وإقلاع السفن والخمور

تتبقّين لي دون أنْ أشعر

تتبقّين لي وأنا أشعر

فتقف التجاعيد والطراوات

والأرض تمدُّ رأسها

تتبعنا من كلمة إلى كلمة

من عُصفور

إلى عُصفور.

سمعتُ وأنا بعيد

وعندما حاولتُ أنْ أُقرّب

وضعتِ يدكِ.

سمعتُ وأنا بعيد

ورأيتُ خلف الغابات

الشُّعوب القديمة.

الثّعلب هو اليخت

واحدة،

وأيضاً ثانية

وثالثة تصرخ: الأبديّة؟ يا للعار!

واحدة حادّة كالشهقة وواحدة مُتّجهة إلى الصباح وواحدة كادت تعرف أنّ الثعلب هو اليخت،

وواحدة قتلوها أمامها لأنّها تتكاثر ولا توصَف.

واحدةُ المذابح المُضطهِدة بعينيها الهواء وواحدة تضحك تفكّ الأصفاد تشدّها تهزّني كالرسالة وواحدة مصفوفة كالمُسَدَّس.

واحدة نَسيَتْ وواحدة نامتْ وواحدة

(أنتِ الجميع، داناي!)

هي الأُولى في الصفّ وأُحبّها.

النّحلة

حقّاً يكون كُلُّ شيء ذليلاً كالعادة، ثمّ يرتمي الضائع على الأحضان وتأتيه الرحمة. أمّا المُكابر فآثم، والمُغلِقُ بيته في الوجه مُغْلَقَة ضلوعه.

وإنَّ دهشته ستكون ساحقة!

من الغُرباء؟ أقبَلَتِ الغريبة داناي فَخَلَعَتْ علينا المَطَر وسالت دماؤها في مواقد الأكواخ الجبليّة واصطادت الدّببة والوحوش. وحين أردنا شُكرها أجابتْ أنّها لم تعرف أنّها فَعَلَتْ. مَنِ الغريبة؟ نحلة. لنترك الكلام للزنبق.

حُبّي لكِ أيّتها المرأة. محوتِ البحار الميتة. أشرقتْ معالمكِ على صخورنا الشمطاء ونوّرت الريح. السلام على سُلطان شفتيكِ، قلبكِ يسقط في مَغربنا فنصعد، والنومُ لا يُفارقُ صحوكِ الشهوانيّ. وأنتِ معي، وها السَّمَكُ وأكاليلُ النَّعناع والفوارسُ وها القهوة والقَمَر وأسماء الجَمْع تُحْفَر على الظلال والغبار، والنوم لا يُفارق صحوكِ الشهوانيّ لأنّكِ سعيدة الحظّ، تنام فيكِ آلامنا وتدفق محاصيلنا. يا مُمْتلئة غربة، أفسحي لي.

مَنِ الغرباء!؟ مَنِ الغرباء!؟ الوَلَد خجول قرب أُمّه فالغريبة بعيدة. ينهض الولد ويقذف بالدار ويدفن في الطريق أصوله. يركضون وراءه ليستدلّوا. لنلحقْ بالولد إلى الأُمّ إلى الراهبة العشيقة. وتعالوا نهجر الوطن لنسكن فيه.

النحلة تخنق العوسج وغُريها يندلع كالنبع. داناي النحلة

الغريبة اللّاجئة التي عُشِقَتْ قبلي حين كنتُ أنتظرها، حين كنتُ خميراً في سريرها، داناي جاءتْ.

وجاءت لي أستحقّها ولا أستحقّها! تتفوّه بالأحلام وليس بالمواعظ. وأنا وهي نقترن بالحريق لنُقبّل من جديد شفاهنا القديمة.

مَنِ الغريبة، قل؟ ليس من صاحبِ بيت فيَّ بعد اللّيلة. أركضُ على صوتِ نحلتي المُدوّرة الوجه وراء بيتنا الآتي ويهرب ليلحق بصوتها. وأُشعِلُ في الغيوم الدوريّة الخمور والتعاويذَ وملفّات العماد، وأنا وداناي نربط، حين تهدأ قليلاً، الذكريات بأحزمة البحّارة المرتَزِقَة. نحن نبدأ ونعود. غابات الأرْز مشحرة صافية.

دَخَلَتْني داناي كالسهم ودَخَلَتْني كالسهم اللّيّن. أحلامُها الصاحية تعفو عنّي.

أطْردُ طيور الماضي وأُتلفُ الأزهار السابقة، فالّتي جاءت لا تليق بها عاداتي.

وأخترعُ لداناي طائراً وزهرة...

إذا أردتَ أن تركب الخيل

إذا أردتَ أنْ تركب الخيل ليكن لك شَعْرُ امرأة،

تُؤيّدك الغابات والرياحُ تنطرح عليك.

ولا تكن بين امرأتين عبداً إذ تنزل الأُولى يستعبدك خوفُ نزول الأُخرى. (أيّتها العبوديّة! لتتغيَّر هذه الصيغة المنقولة عن أيّتها الحرّيّة...).

الخيل خيّال الخيال معقود عليها الهرب حيثُ الورودُ البيض تلَذّ كالورود الحمر: الأولى مسروقة والأُخرى مقطوفة (اللّصُّ والمُقامر من فصيلة واحدة هي الأنبياء).

شَعْرُ داناي صيّاد الماء العَكِر، للحَذَر والغوص والعبور والسقوط والتهريب. أنتَ لا تعرف: شَعْرُ داناي يترك الخير، يترك الشرّ، يترك الشّعْر، يقول: حتّى أنت يا قيصر؟

شوكة

وأنتِ وأنتِ، حظّكِ الرطب، تعود الأيّام بين أسنانكِ. صوتُكِ تشبيه هائج ومن لذائذكِ حركة كقطيع.

أنا الصوفان جبينك يقدحني كظهر القشّ. أدوخ دوخة الأجراس، دخوة الرؤوس، وكالصعتر أفرح وأفوح.

قمتُ من النوم خَلَنْج.

سَفَري أخفّ، كتابي أقْدَم. لكِ عينان باسلتان كالماء، وأردُّ أطرافكِ على ظهري.

مثل شوكةِ دمعة، على شفتيَّ، وفي شفتيَّ كالأجنحة.

اللحظة حرير وحجر

لا أذكر كتبتُ لكِ كلمةَ شِعر: كُلّ هذا كان تقليداً لطعمك الجسديّ.

وعندما تبحثين عن بلاد يصلبون فيها العصافير مقلوبةً، أتبعُكِ لأرى بنفسجات قدميك تتفتَّح من خميرِ رغبتي الرتيبة. وهكذا أعبُدُك، تحت حرير اللحظة أو حَجَرها، وتحسبين تَعبي نبوغاً.

لم أُؤلّف لكِ كلمة. وما إنْ كتبتُ حتّى قلت: لا أريد أنْ أرى رجُلاً!

وقبل أنْ أنزل إلى الرصيف، أنزلتُ غوّاصتي في بحرِكِ، داناي، حيث لا غوّاصة لا بحر لا داناي.

وأضحكتكِ لأنّي لم أغرق في هذا الغوص، وظننتِ صَرْخةُ خَجَلي أُغنية انتصار...

الأبد الطيّار

أطلعتُ القَدَر من وجه داناي. كرّرتُ القَدَر ونوّعتُه.

ثمّ ظَلَمْتُها! وما زلتُ أُلاحقها: فلن يُحبّها أحد مثلي.

ومن جَسَدي أطلعتُ بيديها الأبَدَ الطيّار غيوراً عليها ممزوجاً بملح دموعها القليلة،

وكم غَفَرَتْ لي داناي كلَّ هذا الحُبّ!

جنون زوس

لهذا السبب تسحب الغَيْرة نَفَسي، تَبكيني الثقة. لا أفعل ما يُشبه المذكّرات، إنّي مُبْصر أنّي أكره المعرفة.

لو أضحك!

وأفعل ما يُشبه، ما يكون المُنسيّات!

وأُريد أنْ أُنهي هذه الوقيعة مع الحظّ!

ماذا أُعيّنه؟ قائد الخيّالة؟ سأتزوَّجه حتّى يذوب، ولن يكون محظوظاً.

ا

جَعلتُ بيتَكِ حَجَراً

رميتُ بئري عليه

جَعلتُ بيتَكِ وردة

أضرب ورقة منها بكفّي

تَنْشَقّ، ويُسمع لها

غناء القَصَب وصياح «مولاي»

وفحيح صمغك الروحيّ

في فخذيكِ المسبوعتين

جَعلتُ بيتكِ بئراً

مُحيطة بالنسيان والذاكرة

من الحُلم إلى الحُلم

في الكون أكثر فأكثر.

II

على رأس المدرج يموت ماء العدد الأكبر حين تسألكَ: «أنت؟»، فتقع عنك مليونُ ورقة صفراء.

وإذا كنتَ مَحلّي دع ملائكة الظلام تتموَّج نحوكَ علة مَهَل.

حَدَثَ مراراً ما يُشبه هذا، لكنْ كُلّ حركةٍ لا نهائيّة وجديدة أمام الشمس، فكنتُ ـ مشحوناً بالمناورات ـ أبتلع ذكرياتي.

وتتلاشى كالماء على القابض. أحملُ سراج الذهول في الخلسة والعقم. تقلبُ لي جنَّ الظهر. أعود لا أراها، تقلب لي جنَّ الظهر طويلاً تحت منارة التعاويذ المضادّة للموت،

وأراها...

تتمجّد لحظتان لحظة!

III

عشْ ملكاً تكنْ قانعاً!

على تاج المدرج نشأ لعب بالسيف مع الزهرة التي أردت أنْ أُفتّحها. وتفرَّغت، بنفاد صبر الوحي، للارتماء على شريط هذا النَّمَش: فهو حتماً يولَد!

وعلمتُ شيئاً: إحتلَّت المرأةُ مكاناً في المُستقبل: سوف تكون الماضي.

إسمها مُركَّب من مُضاف غوغائيّ ومُضاف إليه رنينه أقرب إلى الشاي. وهي التي ضيّعتك بين خيوط كنزتها!

أستطيع أنْ أجتاز الحظّ، فهو من يعتصم بي. لكن ماذا يبقى؟ إذا تجاوزته قد أُصبح فيئاً راقياً عوض أنْ أصير إلهاً ودولاباً. وفيما الفيء يتشمَّس، الدولابُ طاغية الذكريات وكاتمُ العناوين. يركض، يركض. يُعرّش على داناي. يأخذ قسطاً من الروح إذ يدور على نَمَش الحظّ وهو يجهل أنّ حظّ النَّمَش يدور عليه.

IV

وحدةً عرفتُ ووحيدين صنعت.

من الضَّعف اختفيت من الضَّعف ناديت ومنه أطلبكِ. إنْ أخذتُكِ مجيئُكِ أصْوَبُ غَرَقٍ في قلبي. نصعدُ ننزلُ دهشتنا.

إفتحي معطفكِ. أغلقي معطفكِ. لآخر الملكات أدَقُّ أنظمتي. لآخر الملكات أبسط حركاتي. لآخر الملكات آخرُ ملوكي.

أحبُّكِ سَلَفاً.

إفتحي، أغلقي معطفكِ...

٧

أرفضُ وسأظلُّ أرفض البحث في فَشل الحُبّ.

أتعهّد فضائحه وأضع التقارير عن دُيونه. لكنْ أنتَ، المُستنطق فشله، قُل لمن يبكي على رسم درس إنّه أجرأ منّي!

لن أسمح لأحد أنْ يُسقط شعرة من هذه الكلمة. ولكي أُعطيَ المَثَل الصالح كم استهترتُ بمسؤوليّة كسلي لأخوض ظُلُمات امرأة كانت كُلَّ مرَّة تكون الأخيرةَ حتماً.

البارحة، في الشارع المُلثَّم بالجنس المُلثَّم (وهو الشارع الشبيه بجرن المعموديّة المُنقطع، المسكونُ بأشباح العُصاة وخيالات المُنتقمين والصعاليك والأشقياء، والمُماثل لجميع الأحياء المُماثلة: الحيّ الأرستقراطيّ المُقيم في حالةِ انتظار لمجيء المُستقبل بإحدى استعارات الماضي السَّفّاحة).

كُنتُ وأنا أسير بجانبكِ سأدسُّ لؤلؤةَ شفافيّتي القصوى بين نهديكِ. فقد سَطَعَتْ فجأة، كما يحصل في المُراهقة، وأخَذتْ شكلَ سرب من العصافير. وعندما بدأتُ أستعدُّ لإمساكها وَقَعَتْ قدمي على الأرض وقلتِ: لا أسمع ما تقول.

إنّها خسارة فادحة. لكنْ أمامي أملان: أنْ أتقشّر بالشّعر وأنْ أُحبّكِ.

الاشتباه الشّكُّ الهاجسُ والخوف بعد قليل غبار.

كُلّهنّ يجرحن والأخيرةُ تَقتل. كلّ واحدة هي الأخيرة.

هل تعرفين يوماً... ستعرفين يوماً وحدة الخلافات! هل

تُصدّقين أنّني أبعد ما أصل، محدود بجُلوسكِ بغيابكِ أمامي، كالزجاجة، لا يقترب برّ من بحر بغير إرادتها؟

وأنْ أقول في اسمك شاي لا يعني أنْ ليس فيه حَبَل بلا دَنَس، تعليقةُ أنهار، قفّازات أدغال، درّاجاتُ كواكب... على ريشه وتحتهُ وليمة الصحراء.

لا أحد غيري يُلبسك هذا الفرو. لا أحد يعرف إلى هذا الحدّ.

قبل الآن لم أُجرّبْك غير آلاف المرّات ومرّة. لسانُكِ فوقي إعصار ونسيم.

أيّتها المرأةُ الأخيرة إلى الأبد أُحبُّك بأبدِ الدقيقة العابرِ إلى الأبد موتَ أهراميَ الخالدة.

الأفكار التي تجيء إلى النوم

الأفكار التي تجيء إلى النوم

كالأفكار التي تجيء إلى المائدة

والأفكارِ التي تجيء إلى النافذة

والأفكار التي تجيء في الوقت غير المُناسب.

وأنَ تهتاج وتغصّ.

لأنّك لا تقدر أنْ تكمشها.

كُلُّنا مُتَّفقون: الأفكار التي لا تجيئنا جاءت إلى غيرنا

لكنّ اتّفاقنا باطل

والحقيقة (الباهرة كأفكار في الظلمة)

أنّ الأفكار التي لا تجيئنا

تُريد أنْ نجيئها!

طبعاً يا سيّدتي

حديثُكِ أخّاذ.

لكنّ الأفكارَ

(وهذا أقوله لغيركِ)

الأفكارَ عندكِ إسفنجةُ الجنس

تنظرين إليها

نظرةَ السّفلس

والكَلَب

والساعات

بفكرة واحدة

ويد تطلبين أنْ تكمشكِ.

بينكِ وبين الأفكار رَجُل

بينه وبين الأفكار

أنتِ

داخل مُثلَّثِ الشَّعْر

حيثُ تُلقين نظرةَ الألف والياء

تُعمّرين الأقفاص والمَرابط

السّفلسَ والكَلَبَ والساعات

تصعدين وتهبطين

بالطبعات

القديمة

والجديدة

والمُصحَّحة

والمُنقَّحة

والمخصيَّة.

موعد

جَمْع من النساء حول رَجُل مُحَطّم.

قلتُ بابتسامة: ندعوه قيس ليلى!

فهَبَطَت الحرارةُ بسرعة.

لم أرَ في حياتي عيوناً كتلك المُذيَّلة بالفساتين. وحين تركتُه كان لا بدَّ لهنَّ أنْ يلحقن بي.

وانتظرنني هناك امرأةً امرأة.

كُنتُ في مدينة قرويَّة، غريبة الأطوار، على ضفاف النهر. ودون أنْ أبتسم. كان الرجل المُحطَّم قد أتعبني.

وتمَّ لقائي بهنَّ في البيت القديم فتحوَّلت دعاباتي إلى دم.

وقتلتُهُنَّ بالفراغ الكلاسيكي.

من عصر النهضة

«هي اختارتني من الماضي

ولم أربحها بالحديد والنار.

إذا كانتْ أعلى الروايات أو أسفلها

ولا سيما الحكواتيَّة والمسلسلات

مثالاً على ما بين أيدينا

لوجدنا الهدف كحبَّة خردل».

هذا ما قاله الفارس الذي

لفَّت امرأة ذراعه بفوطة بيضاء

دلالة على أنّه من الأنصار

وإنْ لم يكن من الأنصار

لتحميه في تلك المذبحة

التي ذَبَحَ فيها حَمَلَةُ الفُوَطِ البيضاء

غيرَ حَمَلَةِ الفُوَطِ البيضاء.

وأضاف الفارس (الذي

قَتَلَ بعض القَتَلَة)

أنّه بين الدم والحبّ لم يجد مكاناً للجلوس

فكان دائماً يُنتَقى

إنْ من فكرة

أو من ماضٍ

ويُصاب في القلب كالحَجَل

ولا يصطاد أحداً

إلّا تكون الطريدة قد اختارته من قبل.

نهر الحياة من وسطه

لي ثقة عمياء بالرباط الأسود. أهو عيب عندكَ؟ لكنّه مصباحُ علاء الدين. ولولا خوفي أنْ أُباغتكَ لقلت: يداك تحملانه معي!

عندما ترجع إلى أيّ بيت كان: إنتبه. التيّارات مُنعقدة في الظُّلمة على أيّ جدار، شرط أنْ يكون الجدار الذي لم يكن من المُنتظر أنْ يكون، وهو الجدار الذي لا يُمكن أنْ يكون إلّا هو. وإنْ أزعجكَ صوت أعطه ما يلتهي به وزُفّ حالك إلى النداء. تذكَّر أنّكَ شرقيّ! وإن لم تكن شرقيّاً، تذكَّر أيضاً أنّكَ غربيّ! وإذا تذكَّرت، إنسَ.

الحالة المُفضَّلة هي الجلوس، وحولك مُستنقع الظلمة ينتقل من إلى، وكُلَّما انتصب بينك وبينه حاجز افعلْ شيئاً، ملّك الرباط من جبينك.

تعرف ماذا حصل مرَّة؟ على ندائي: «تعالي معي!» سَقَطَتْ في السجّادة مسحوبةً بتطريزٍ يدويّ بدائيّ هو آية في الهدوء وهو مدفعُ مغناطيس يقذف المُتناقضات إلى سلَّة لولا لذَّتي أنْ أُباغتك لقلت: تَحْملها معي أيُّها الأبله!

لا تخف. من تحت الرباط لا تخرج عوانس أو كائنات مُتطفّلة. ستربح. لتكنْ لكَ ثقة تامّة، فالذي فيك ينتظر زبوناً من غيمة. ونحن نأتي من الشوارع، من المدارس، من البنايات... مرَّةً أطْلَعْتُ ابن عرب على السّرّ فانقطع عن الأنين وأهدى مكتبته الشعريَّة.

لا أُريد أنْ أقطع رزق أحد غير السماء الرصاصيّة والواجبات.

ما أصلَب الشرَّ البشريّ! كما لو كان فولكلوراً، كما لو كان ماساً، كما لو كان مُضطرّاً، كما لو كان صوتَ إنسان يموت! خدّاع ومتطوّر كالأزياء.

لقد ربّيتُ إيماني بمغاور الأحداق حيث كلّ غائب . عن . الوعي . بالعدّاد هو غائب إلى الوعي بالإشراق مُنخطف ببَنْج الحُبّ الشاحب على الشفير. هناك أيّ كان يخرج حقّاً يدخل حقّاً ويجمع القشَّ بالزمرّد في إغراء ناعس على جوارب حسناء من عصر اللّواتي سُمح لهنَّ بالتعرّف، كأخوات جنّيّات، إلى مراعي الرجولة.

لتكن لكَ الثقة بالرباط المشدود. حتّى العصير النابع من هذا الضغط لا شيء أمام التمسُّك بالثقة السوداء. أقصِدُ العمياء. لم تُخبرني العُصفورة وحدها بل قرأتُ ذلك في لوح الوصايا الذي نسي موسى أنْ ينظر إليه، عندما لم يظهر له أحد، على المقلب الآخر من الجبل. وقد وجدتُ اللوح تحت الكرسيّ الذي أكتب عليه، عندما دَهَمَتْني بلاهةُ العذاب بخرقة كلوروفورم ألصَقَتْها بفمي، فتخشَّبتْ عيناي وذهبتُ، ما أروع الطريق!

السّخرية الوحشية

هل تذكرني أيُّها السراج الوحشيّ!؟

كما لا يُحسُّ بعضهم كلمة في الزهرة

كما لا يُحسّون تَنادي الشلّالات وأصداء قهوة في واد أضيق من فنجان

لا تشعرُ أيُّها السراج الوحشيّ!؟

تتحرَّك هذه الأسطر تهتزّ

تستهويها المُدنُ المُسنّة والأديرة التي تخنقنا فيها امرأة

وتلالُ الخجل المتلاعب

ورفاقي

أُخمّنهم بأناملي فيتسلسلون كالماء.

كُنتُ أظنّ أنّي أمازحكَ كما

يُؤخذ العطوس وتُرمى الأجوبة

وها أنتَ تُهنّئ بوفاتي...

أنا جميل

إنصرفَ الممثّلون إلّا واحداً يدرس التصوُّف فعيّن لي موعداً في التيّار الهوائيّ.

وكان المُمثّلون من التقدّميّين المُقنَّعين خارج التمثيل أيضاً.

أنا جيّد في اللغة العربيّة، أكتبها من الشّمال إلى اليمين والعكس، من فوق إلى تحت والعكس. الانحلال في عباراتي قليل وأكتبُ بوضوح.

شهرتُ حكاية فارسيّة على المُمثّل المدهون. وهو يغفلون اسمه في البرنامج حسب قانونهم الصلب.

لم أتعرَّض لكذب هذه الطريقة إلّا في اللحظة الأخيرة وأظنُّ شاهدتُه يفعل ابتسامة منحرفة.

وكالعادة رششتُ بعض الفتنة في الإعجاب والراحة والأمن والثقة.

إليكَ ما يُمكن استخلاصه:

أيُّ شيء يمكن أنْ يكون إلغاء لأيّ شيء. أُغنية، وجه سيتكلَّم، الرقصُ أو الرعد. ولا فرق بين آلات الطَّرَب ما دام الصوت هو القصد. كعريف لهذه الأوهام لا أتنازل عن مُكبّر الصوت. أسمعُ من يُغنّي وأُغنّي.

على ذكرى: لي من الأدوات الضباب ومن الضباب الأدوات. فيَّ من الرُّعب الفارس ومن القصر الدُّخيلاء.

نَظَري ذو جَسَد، العشب عشبي والغائبُ كما سَبَق وقلت، في

انتظاري.

وعلى ذِكرهم: تركتُهم.

تركتُهم فأجيئهم وأنا ما يقولون وعكسه، ما لا يقولون وعكسه. لم تكن مرَّت سحابة عندما أخذتُ ما لقيصر وأخذتُ ما لله وأعطوني الباقي.

وعلى ذكره لا أقوم في اليوم الثالث بل أقوم من الوعي ولا أُريد تلامذة. منطقي بَعْدَ المُشاركة، أياد صاخبة تُقلّب رَحِمَ الحياة.

جزءاً بعد جزء استثمرتُ ما وجدت وطبعتُ النساء مُقدّمة. قرصتُ عن الجميع عتّاب الرؤى.

يركض الركضُ والشلل بيني وبيني. الفنادق تحلّ عليَّ. لستُ أكثر بلاهة ولا أكثر حرارة بل أكثر. تنطبق عليَّ النظريّات وتنهار، وفي قَلَمي أصلُها. لستُ وليد جيل بل أنا الزوايا المُختلفة، سَلَفاً، في ما بعد، من قديم الزمان والمُستقبل.

مُنذ لحظات متُّ وقمت متُّ وقمت. أنا جميل.

شتاء اليدين

حين أسمعكِ أيّتها الأنغام حين أقف حين أتربَّص بكِ أيّتها الرسوم ذات الأصداء

حَسَدي يعلو غَرَق اللذّة،

ويُقال لي: الوقتُ الذي سَبقني طعنني في ظهري!

وكفتاةِ أعمال

عيناها جدول من الجَلْد

وكفتاةِ أعمال عيناها أوسع من التاريخ الحيّ

أقذف القائل كما فتاة الأعمال تقذف خادم القهوة الصغير

من رأس الدَّرَج

وينكبُّ الماء الساخن على عينيه وبطنه

ويجلدها تعذيبه

لأنّه حمل القهوة في وقت كانت تُريد إمّا أنا أو رأسي.

لي صديق يتونَّس بقنديل

(بمصباح كهربائيّ كالقنديل) على مكتب مُنظَّم بالفراغ والأسماء

ويبدو طيّباً وسط المدينة.

لا يقرأُ الكُتب المُحرَّمة

تُراقبه أيقونة بيزنطيّة

كأنّما هو شهر مريم

يتكرَّم عليَّ بصوت مُبطَّن بالمعاطف، وكرافعة الأثقال

يُبعدني بعيداً ولا يطلب قرشاً

وعندما يطوف الجميع بشتائمي

يمرّون

فألفّه بالقطن وأحجزه

خلف أُذُني.

مهما كان

ورغم الأحلام المُغبَّشة التي أدْهَمُها فجأة

فكما أنّ لي صديقة هي فتاة أعمال وانتهى الأمر

وكما أنّ لي صديقاً حجزتُه وراء أُذُني وانتهى الأمر

وكما أنّي على يديَّ أحمل غيري

وانتهى الأمر

وكما أنّي قبل هذا قلتُ هذا وغيره وانتهى الأمر

يمكن أنَّ ما أحلم به لن

أُحقّقه

لأنّ يدي

من حين إلى حين في الشتاء خاصّة

تترك أحمالها وتُصبح رشيقة

تُصبح ولَدي

وتأخذ عطلة

وتُعطيني من وقتها فتحمل

منّي

ورقة أو دفتراً

دوِيُّه الماحي نظري

يختنقُ جهراً!

السّلام لجميعكم

أدخلتُ الدُّبَّ إلى كرْمي وعلّمتُه الإعراب، فقاسمني العلم بأنّ آفة العلم نسيانُ الجهل.

دُبّ الشعر، دُبّ الفكر، دُبّ الفم ما إن يتحرَّك. دُبّ الوجود سيّدتي.

أقول سيّدتي لأنّي أريد أنْ أُوجّه الكلام إلى أحد، و«يا سيّدتي» أسرع للأُذُن. أمّا الحقيقة فيا سيّدتي لا تدخل إلى كرمي.

أكانتْ عندي مُهمّة ولم أِنفّذها؟ لا أعرف ماذا أضعت. أهو أبي؟ أجِعْ كلبك تتبعه: أجعتُ كلبي ضيَّعته. إحتوتني نساء وأعمدة طويلة ولم تَحتَوِني حتّى كلمة براحة حتّى النهاية. الأساطير، شأن الرموز، بعيدة عن الهدف شوطاً أو شوطين، والصورة كالتشبيه كالصمت «ليست هي». الصرخة والهمس مغروران. دَخَلَ الدُّبّ إلى الكرم أفسده وانفسد.

إثنان يُثيران فيَّ الولع والتطرّف: فَلَكُ النجوم في داخلي، وإمتاع المرأة ملفوفة بثيابها. لكنّ الأول يبقى تحت الأنقاض ولا يُحمَل إلى النصر، والآخر شطارة على مستوى العيادة الطبّيّة.

كفى.

ممنوع الدخول.

الغلام الذي حين أطلّ أشعل لُفافة الاستمناء الكبيرة، استمنى

ويستمني هذا كُلُّ شيء. عَلّمَ الدُّبَّ الإعراب فشاركه الاستمناء.

لا تغيير الحياة ولا تبديل العالم. السقوط والفوضى. التفكّك والانحذاف. التكرار والدورة. أقولها بسطحيّتها.

سلّموا على الجميع.

الأيّام الآتية

الأيّام والعمالقة

أُحبُّ ذكرى الأيّام التي كانت تمشي تمشي ولا تعرف أنّها ستنتهي في كتاب. أُحبُّ ذكرى الأزمنة العاملة، المغموسة، الضبابيّة، ذات العمالقة الذين مَشَوا مَشَوا وهم لا يعرفون أنّهم سينتهون في كتاب.

هي أيّام لم تكن أنبل منّا. وكانت تعرف أنّنا سنكون أنبل منها ونجهل مجد بؤسنا وإيمان عبوديّتنا وفراغ حريّتنا ورجاء سقوطنا.

أُحبُّ ذكرى الأيّام التي ستجيء. تلك الأيّام الحاضرة...

ولدت تحت برج الأسد

كما تَصْنَعُ الغابةُ زهرة

كما تَصْنَعُ الغابةَ زهرة

كما تَصْنَعُ المدينة عقرباً

كما تَصْنَعُ رُطوبةُ الجدار

حشيشة

بينها وبين الجدار

حين كُنتُ ولداً

كنتُ أسمع كالنائم وأرى

ولمّا ما زلتُ ولداً

تكدَّس العالمُ في عينيّ

الأخبار والأعياد وكتبُ الجيب

الأمزجة والمُفردات

تكدَّست الطُرَّة والنقشة

(كلّ طُرَّة

كلّ نقشة)

وصرتُ حين أشدّ لأُفلت

كُلَّما شددت

كَرَجَتْ من فمي طُرَّة

ومن فمي نقشة

ومن فمي المزاج والمُفرَدَة.

الجدار الذي وُلدتُ عليه

بَصَقْتُ عليه

وحَرَسَني.

بين ذراعيَّ يبكي

ولد

لأنّ زهرته الصغيرة التي خَطَفَها من الغابة

عادت ونَبَتَتْ في المكان نفسه.

لأنّ العقرب التي

هرَّبها ليحميها

مسحورة بشياطين الأسفلت.

لأنَّ حشيشة الجدار الهوجاء

ليست كما حرَّضها.

لمّا كنتُ ولداً

لمّا صرتُ ولداً

لمّا ما زلت ولداً

لم أكن محظوظاً كصغار الغرب

ولا كصغار الشرق

بلادي ضيّقة مثل شَعْرة

كرهتُها ووُصِفْت

وسقطتُ كالمارد عليها.

وُلدتُ تحت بُرج الأسد

وأسداً ولدتُ

تحت بُرج السرطان

وانتقاماً

سطوتُ على الأبراج جميعاً

وكُنتُ ممنوعاً من الدخول لمّا

دخلتُ أبعد من الجميع

غافياً على جذوريَ في غول

هو أُمُّ أربع وأربعين

وشمعدان أيضاً وإبريقُ الزيت

وحملتُ الغول بأحشائي

فسدَّد خناجري إلى أحشائه

مُتلاصقَين كعُفونة ونباتها

واحداً كطُرَّة ونقشة.

المُنهالون من أظافري

المُزدادون سواداً تحت عينيَّ

سواء دفنوني أو هربتُ

غيّرتُ أبراجي أو انتحرت

صَنَعوني.

ملّاحو الخيال وصلوا

ليستمطر أحد الأساتذة ليستمطر

سياسيّ أو كاهن رحمةَ السماء

وبرَكة النفوس في التاريخ:

لا أتنصَّلُ من الخيال!

ألقيتُ السموم في الفناجين

وفي «هذه الكأس»

ولم أطلب أن تُبعَد عنّي

وقد عاقرتُها

وارتديتُها من أجسادهن المُؤرّخة بين شفتيَّ بماء أيّ نهر كان

بهواء أيّ بحر من بحار الذَّهَب والأشعّة والحرير

إقطعْ لي

إقطعْ وَعْدَ آلات:

عندما يحرقون المكتبات في الأعياد

عندما يحرقونها للتنظيف أو تخفيف الحُمولة

هل تتركهم يسحبونني من الذكريات؟

إحلف لي أنّك

ستُخلّص هذا الكتاب وغيره

وتكون الشفيع لنفسك ولهم

أمام الخيال كما سمّيتُه إيجازاً

الذي عندما تعود المُحيطات إلى رُشدها ترجع الحياة إلى الحياة

وتُدخّن السُّفُنُ والصواريخ كالمُتقاعدين

سيرجع بياضُه واحمراره

إلى السَّفّاح والملاك

ومن خاتمه يدسّ مادّة المَرَدة

شعراء نحّاتين شفهيّين فنّانين

قُلْ لي بالصّدق الأبديّ

بالدقّة الآليّة:

لن تُنكرني بينهم

ولن تتركهم يأكلون حقوقي.

وَصَلَ ملّاحو الخيال قراصنةُ الخُرافة أيُّها الجاهلون يا أبناء ما قبل التاريخ يا حرب أخويّة الحقائق يا ارتخاء الغضب والضجر والهدوء يا حرام الحَدْس والبداهة والعفويّة والأفواه البسيطة

وصلوا

إنّهم يدخلون في بَشَرة وُجوهكم؛

كُنتُ بينهم من قبل

(كأنّي كُنتُ قبلهم)

ولا أزال

وسأكون بينهم غداً

يُميّزني الخوفُ والفرح

وانسجامُ كلماتي المتقاطعة.

حاضر

سترون تمثالي في عمارة العلماء ومُديريّة الكون.

ويكون موسيقيّ قد وَجَدَ سيف الانسجام بين الاهتياج والنشاز.

بدأتُ بقولي: أخاف! وأقول الآن: هيّا!

شهدتُ للعصور وفي الغد حيث تلتقون المجهول والمعلوم والغَفِل من التوقيع والمجهول باقي الهوّيّة ستُحسّون أنّي رويتُ كُلَّ هذه الحوادث.

عشتم عواصفي وما بعدها وستعيشون معي عواصفكم وهدوءكم. أحيا فيكم دون سلام لي ولا خطر عليَّ. أموت مُطمئنّاً وأقوم مُطمئنّاً.

ولا أُزعجكم.

عناق الأوبئة

النّيل

أسحبُ لفافة

كانت تُمثّل الفلك الساكن والحشائش الواقعة على الأطراف

أُمنياتي ضخمة غامضة

مرحة ذكرياتي ومُضطربة، عن وادي مُفرقعاتك الناريّة

أتودَّد إليك في أشكال زواحف خالصة النيّة

ولا أُريد منك غير الإحساس بحُبّي

وبأنّي أُعانق جميع ما فيكَ من أوبئة.

ليس اعتباطاً أُردّدك

أشتهي أنْ أخلقك وتلمسني عاداتك وأقع في قبضة علومك

تمثيلاً للإحساس الحادّ

وتقرُّباً من الصُّندوق الذي ألْقَوْه فيك وكدائرة العصافير محروس بوحدة الكون،

صُندوق المُغامرة قبل أي عهد قديم وإلى ما بعد الغَرَق والزلزال والحريق

وإنْ كُنتُ لا أعرف كيف تماماً أُظهر إعجابي،

فأنا في يوم حصادك ويوم خيراتك ويوم خلْعِكَ عن العرش

مضبوب ومتواضع عندما يجيء ذكرك أو لا يجيء...

يصفونك بالرّموز وليتني أُحسن وصفهم

ولكنْ لا أُحسن وصفهم

وليتني أُحسن خطابك!

ولكنْ أستمرُّ على عادة القُربان مُتناولاً قُربانك معونة ومُناجاة

مُتعشّقاً نساءك الكاذبات النبوءة.

غَربُكَ الموتى الأغنياء، شرقُكَ أغنى الذكريات

مأثور أنتَ بابتذال إلى أنْ

يقضي الكثيرون هراء الطغيان وسخْرة الأزمة.

وكما قليل يفهم شعري قليل ينسلخ إليك عن خيانتك.

آلاف السنين لم تتحوَّل فيك إلّا تحوّلاتك

آلاف السنين خارجاً عنك

مياهُكَ تجني عليك وتكتب القصص الشعبيّة المُوجعة بالخطأ بالجمال

وأنَت في إمكان انتحاري المُستحيل وغلاف جُنوني وخزّان حكمتي

تفتح الباب لعُمّال الماضي وتُغلقه قبل أنْ يخرجوا

وعلى الطريق إليك مُراهقو الإغريق وغلمان روما والعائلة المُقدّسة

وعلى الطريق إليك عبيد القوقاز والسودان والمغرب عبيد جاوه والصين

ومجازر الألفين والألفين والألفين من السنين.

لكنَّ حياة النيل تستحمّ برصانة في وجهي

تتنشَّق بارتياح وتَضخُّم،

نِصْفُكَ سبع ونِصْفُكَ فيلسوف

قصَّة الهرب من المدرسة والغضب البديع.

لا أعتقد أنّ شحَّ النيل يُنفّر

يتأخَّر النيل خمس ثوان أو خمس دقائق أو خمس ساعات أو خمس سنوات أو خمسة ملايين قرن

وفي قبو السُّلطان الحامل أختامه تتواصل الطقوس

وأغربُ ما فيها أنّها طبيعيَّة ومُباحة

إلى حد أنّ خليلتي شبه الفرنسيَّة تعيش بها؛

ولا أعتقد أنّ حوادث النهر تُثير شكاوى جوهريَّة تجرح إحساسَ الأصنام والتماثيل والأوثان وأيقونات الشجر والصخر أو إحساسَ الألفاظ الداخلة فيها حُروفُ الهاء والباء بصورتها الاحتفاليَّة المُهيبة

بتأثيرها المعروف

لا أعتقد أنّ خليفة يخرج وخليفة يدخل يُفسدان جلال نظام الساعة

أو

شسوع معنى الأرقام شارحة الإنذارات والأحلام

أو الإشراف على الأودية وحجبها

أو

دُموع الأساطير وعجينها المُختمر في عادات الخليقة

أو أيّ شيء من قراءاتها المُقدّمة للرّحّالةِ الجالسين على مقاعد الأبراج الفلكيّة المنحنية.

النيل يتفرَّج

لا يتفرَّج النيل لكنْ

فمُهُ مفتوح للأشباح والنظرات مُبلَّل

بدُخان المكتبات الصفراء

مُجفَّف بنهار طويل

بُخارُهُ الكرنك العامّ والكرنك الخاصّ، الأُقصر وممفيس وطِيبَة

في قيلولته الصحراء

يرتعب قليلاً كالطفل إذ يعرف قيمته ويتأثّر كشجرة الحَوْر حين يسمع العزف من أجله

ولكنْ تحت الطاولة له رجلان بديهيّتان

له ياوران أوسع مدى من الجهات الأربع وما فوق

ويبقى في الغبار والكتل والغياب وما هو قادم

نُقطة باحثة ونُقطة هي الهدف.

كُلُّ رامٍ نفسَه عن شرفة منه يقع على جسره

وإلى آفاقه يجتاز براري العفو ومعارض العرس وبذور الحبوب

يجد الابن الشاطر مصعوقاً بحكايته المسروقة

حانياً عينيه في غاية الخجل.

ولو راجعنا آداب الحياة والموت

لوجدنا فيك، نيلَ المفاتيح

طاولةَ الزهر والأقدام والرؤوس والكلمات

والعناوين مُصحَّحة

ولبؤةَ المَطَر

وكُرةَ الجبال

وزرَّ التصفيق

وميثولوجيا الحُقول والأرصفة

وشَعْرَةَ الحضارات

وماذا كُنّا لا نجد فيك

أنتَ الموفور الرزق حامي الحِمى

لو

تركنا حُرّاسنا يتكاسلون ويتأخَّرون عن العودة

ولجأنا إلى حُرّيتك

مُتمسّحين بأعاليك وأسافلك

حافرين إليكَ التاريخ بالعكس لنبلغ لقاء مائك بأرضك عَبْر

فيضاننا الخبيء

وندائكَ المنقوش على كلْس مومياءاتنا.

من حُبّها إلى حُبّها

النهر وفوقه الجماهير هاجمة وبينهما . كُنتَ ستعرف ذلك من غير أنْ أقوله . المرأة التي سأُحبْها، التي أحببتها، التي سأتخطّى حُبَّها إلى حُبّها، تنتظرني تحت قبو وخلفها جهاز النصر، والسحق الذي سيسحقني، وجهاز اتّحادي بالكون.

ومع أنّي مُتّحد بالكَوْن لولا أنْ سايرتُ الآخرين في قصّة (في ثرثرة) الانشقاق والتناقضات العقليَّة، فسأعود إلى الاتّحاد بالكون بعد تضييع الوقت بالنظريّات والإسقاط والتوهُّم وانحراف التربية والميوعة. سأعود مع الجميع، مع الأُوروبيّين، أنا والانتظار.

وأكون قبل ذلك قد تركتُ بابي مفتوحاً في اللَّيل، ومُغلقاً، وأكون حاربتُ وحُوربتُ على الهامش، وأكون تحسّست كلّ هَلَع الأولاد وحَشْرَجَةَ اللاّنهاية ومخاوفها.

سنعود أنا والكون.

إذا

يبدو أكثر حين يتكلَّم

يُعقَد لواؤه لامرأة

سيخونها وتخونه

وبثيابه المُلمّعة كبعض الرسوم المرسومة للسيّاح

يعكس الينابيع صُدفة

يستضيفكَ في كوخ الغرائز.

إذا هناك بَشَر يعيشون

لن يلتقوه،

لكن الذين يعيشون سيتلاقون.

تَعلّمَ الموسيقى كالجُنديّ

كالجُنديّ

تَعلّم الموسيقى

ليقهر الجُنديّ

وعندما قَهَره

تَعلَّم الجُنديّ ليقهر الموسيقى.

لن تعتاده

معه تهبط شفتاك وتتأخَّر عيناك

كرجُل يلحقُ امرأة.

فحيحُ الطبيعة وأُمّهاتها

سيّدات الأشعار وبناتهنّ

استراحتْ على صوته

واحْتَقَنَتْ به.

إذا صادفتَه اجلسْ معه

إنّه كليلة ودمنة

وملايين الجدّات،

على عُنُقه قايين ومن رقبته هابيل

وفي حُنجرته ألف ليلة كجَوزة

والهند ممتلئة

والنيل

والطاحون والبُزُق،

لا يأكل وحده الرغيف

ولا يُحادث وحده الأزهار

يُسطّر بحِبْرِ نَفَسِه

بياض المُستقبل.

ولكنْ إذا

أحببتَهُ

قُلْ له إنّك

أحببته.

غيَّرْنا العالم

الروس الميكانيكيّون العرب اليسوعيّون اليهود النساء الموحّدون الصغار الكبار سيوقفونني ضدَّ الحائط ويقتلونني.

مسكينة أيّتها الأرض. الوداع!

ستُنقلين وأراكِ بين النجوم عندما يتمّ سير اللّاتاريخ عَبْر الأنفاق والأعصاب.

غيَّرنا العالم، نحن الشعراء، نحوناً.

أهذا أنت أو القصّة؟

يرجع تاريخي إلى قرن خامس

منذ عُمّدتُ بحضور أُمّي

التي أورثتني الشعور

بأنّ من سيخرج من بين أربعة جدران

يرتكب

كُلَّ الخيانات.

كُنتُ أرغب قليلاً أنْ أكون في الأشياء

بإرهاب ضروريّ وعنف

كتمثال قديم.

يعود تاريخي إلى إيل والبعل

طبعوني في جلجامش وتربّيت في أوغاريت.

صور صيدون بيبلوس

زارت معي اليونان

وزخرفني الفُرْسُ واشترى العبرانيّون

مقاطع من إنتاجي

بسَّطني المصريّون في تصوير الكائنات الحيّة

وامتزجت بي عشتروت عن طريق الكحل

وسكنتُ قريباً من النهر.

ذَبَحَتْني الآلهة وَذَبَحْتُها

وحَمَلْتُ جدَّتي الصغيرة هارباً

فقالتْ لي في الأودية:

«ليتك تقبرني»

ولمّا فعلتُ

وُلدتُ ومتُّ في بيروت.

يرجع تاريخي إلى الأسفل

والعواصف التي هبَّتْ من الكُتُب

والجلوس الطويل في العامّة

وإلى ما ليس منّي

وكما عمري بالسنوات

كذلك

هائم كحُبوب اللؤلؤ

خارج هذا العقد...

أهذا أنا أو أنت

أهذا أنتَ أو القصَّة؟

بعد قليل يختفي الموسيقيّون

يتوظَّف الشاعر خلف الأزرار

تهربُ من المدخنة مُدُنُ الروح

يُقْضى على المزامير والسطوح

ونجومِ التوق اليائس إلى بُلوغها.

حُزني عظيم على تاريخ طاعن

طاعن في القَدَر

طاعن في الوَلْدَنَة

مُتقدّم في الصُّدْفة في الأخطار

مُتقدّم في خيالنا

مُتقدّم في الثُّقوب والجُيوب الداخليَّة

مُتقدّم في الشامات وعلم الفَلَك

مُتقدّم في فوات الأوان

مُتقدّم في شُحوب الشفاه على مُنحدرِ العيون التي لا تحتاج إلى إعادة اختراع

ولكنْ إلى إعادة نَظَر.

أنا الموقّع اسمي أدناه

الكُرديُّ يُقدّر المرأة

الصّينيُّ ثابتُ الطول

الرّوسيُّ ملفوف بلحية الأرض

البلجيكيُّ فرنسيّ

لكنَّ اليهوديَّ خالةُ العالم

وعند رسّام رأيتُ عتّالاً برتقاليّاً يرفع برقبته

جنكيزخان.

كُرديّ يُقدّر المرأة وسومريّ لو كُنْتُه

حُجّتان كوردة

تُهدى حتّى

أقول إنَّ كتابي

تَعلَّم ممّا يُحبّ العُلماء

وعَصَرَ رأسه ليتذكَّر

عَبَثاً

أيَّ شيء.

أنا الموقّع اسمي أدناه

أسْمَعُ المَطَرَ ينزل

جافّاً على الأسفلت

وممّا قُلتُ الآن وقبل الآن

لن تذكروا كلمة

لكنَّ فمي ارتوى قليلاً

وهو يروي لمن يريد

ماضي الأيّام الآتية.